مسرحية الشهر

ستة اشخاص يبحثون عن مؤلف

للكاتب المسرحي الايطالي لويجي بيرندللو

نقلها عن الفرنسية الدكتور سهيل إدريس

ولد لويجي بيراندللو في جيرجنتي (صقلية) عام ١٨٦٧ وتوفي في روما عام ١٩٣٦ . وبعد ان تلقى دروسه في روما وبون ، عين استاذاً في روما من ١٨٩٧ الى ١٩٢١ ، وقد كتب آثاراً تثير الفضول الشديد وتحمل طابعا انسانيا قائما بعض الشيء ، يظهر الانسان كدمية عاجزة عن ان تعرف نفسها . وقد عالج بيراندللو الرواية، ولكنه اشتهر بالمسرحية. ومن اوفر مسرحياته ذيوعا « عقل الآخرين» (١٩١٣) و «لكل حقيقته» (١٩١٧) و « هنري الرابع » (١٩٢٢).. وقد نال بيراندللو جائزة نوبل عام ١٩٣٦ .

على ان اشهر مسرحية له واوفرها حظا من الابتكار واثارة الفضول ونفاذ الفكرة وروعة الحوار هي هذه التي نقدم ترجمتها الكاملة فيما يلي للقاريء العربي . وننشر في هذا العدد القسم الاول من المسرحية، على ان ننشر تتمتها في العدد القادم.

اشخاص الرواية

الاب ، الابن ، الصبي ، الأم ، بنت الزوجة ، الطفلة ، السيدة باس .

المدير ، صاحب الدور الاول ، الفتى الاول ، ممثل ، مدير المسرح ، عامل اللوازم، الملقن، مدير الديكور، سكرتير المدير، المتغنّجة الكبرى، الفتاة الساذجة، الوصيفة ، الممثلة الاولى ، الممثلة الثانية ، حاجب .

الحادثة تجري على خشبة مسرح ، في اثناء النهار .

ملاحظة : الملهاة لا مشاهد لها ولا فصول . يُقطع التمثيل مرة اولى دون ان يسدل الستار حين ينسحب المدير ورئيس الاشخاص ليضعوا السيناريو . ويخلي الممثلون المسرح في الوقت نفسه. ويقطع التمثيل مرة ثانية حين يُسدل مدير الديكور الستار خطأ .

(حين يدخل النظارة القاعة ، يجدون الستار مرفوعاً ، والمسرح كما هو في اثناء النهار ، دون ما اضافات ولا ديكور، خالياً غارقاً في ظلام شبه تام. وبعد منذ البدء ان يقوم الشعور بان التمثيل غير مهيأ . غطاء علبة الملقن الى يمين المكمن . والى يسار مكمن الملقن ، في مقدم المسرح ، تقوم طاولة ومقعد متجه الظهر الى الجمهور ، وكلاهما للمدير . وطاولتان اخريان ، احداهما كبيرة والاخرى اصغر تحيط بهما بضعة كراسي ، كما لو كانت كلها من اجل مراجعة الرواية للتجربة.

يدخل من باب الكواليس ممثلو الفرقة، رجالاً ونساء ، ازواجاً او فرادى، وفق هواهم . وهم تسعة او تسعة ، اي العدد اللازم لتمثيل ملهاة بيراندللو « لكل دوره » التي تعلن عنها لوحة التجربة . بعضهم يتجه نحو مقصورتهم، واخرون بينهم الملقن الذي يمسك كتاباً صغيراً تحت ذراعه، يقفون على المسرح . اما الباقون ، فيجلسون جماعات ، متبادلين بعض العبارات ، متصفحين جريدة ، مستعيدين دورهم .

يصل المدير ، فيتجه نحو طاولته . يقدم ، له سكرتيره البريد : بضع صحف ، مخطوطة محزومة ، رسالة يفضها ويقرأها بسرعة .

في هذه الاثناء ، يكون الملقن قد اتخذ مكانه في مكمنه، وأضاء مصباحاً الى يمينه . يبسط الكتاب الصغير امامه)

المدير (رامياً بالرسالة على الطاولة) — إن المكان هنا مظلم كأنه فرن (ينظر حوله، متجهاً الى مدير الديكور) اضيء لي مصباحاً .

مدير الديكور (ناهضاً) — حسناً يا سيدي المدير ، بعد لحظات .

(يخرج . بعد لحظة ، حين تبدأ التجربة ، يهبط المصباح المضاء .)

المدير — هيا بنا. هيا بنا ، اسرع ! (للملقن) الفصل الثاني من « لكل دوره » .

(يجلس في مقعده. يترك الممثلون مقدم المسرح ويجلسون على الجانبين تاركين الوسط للذين يقومون بالتجربة .)

الملقن (يقرأ) — « بيت ليون غالا . قاعة طعام — مكتب فخمة . »

المدير (لمدير المسرح)—سنأخذ الصالة الحمراء.

مدير المسرح (مسجلاً على ورقة) — صالة حمراء . حسناً يا سيدي المدير .

الملقن (متابعاً قراءته) — ... « طاولة للكتابة ، مكتب للعمل تغطيه الكتب والاوراق. رف يغص بالكتب . واجهة ملأى بالصحون وبالزجاجيات الثمينة . باب في الداخل يفضي الى غرفة نوم ليون . باب الى اليسار يؤدي الى المطبخ . الى اليمين باب الرواق . »

المدير (ينهض ويشير) — واذن فنحن على استعداد ؟ هنا الدهليز ، وهناك المطبخ . (ملتفتاً الى الممثل الذي يتولى دور سقراط) انك تدخل وتخرج من هنا . (لمدير المسرح) . ستضع في الداخل طبلاً تغطيه الطنافس . (يجلس) مدير

المسرح (مسجلاً على ورقته) حسناً يا سيدي المدير.

الملقن – « المشهد الاول . – ليون غالا ، غيدو فينانزي ، فيليب المدعـــو « سقراط » . (للمدير) هل ينبغي لي ان اقرأ الارشادات المشهدية ؟

المدير – طبعاً . لقد قلت لك ذلك مئة مرة.

الملقن (قارئاً) – : « عند رفع الستار ، يبدو ليون غالا يرتدي وزرة بيضاء وطاقية طباخ وهو يخفق بيضة في كمية من الشوكولا بواسطة ملعقة . فيليب يرتدي هو ايضاً ثياب طباخ ويفعل مثله . غيدو فينانزي يستمع جالساً . »

صاحب الدور الاول – استميحك العذر ، هل من الضروري الذي لا مفر منه ان اضع طاقية الطباخ هذه ؟

المدير – طبعا ما دام ذلك مكتوبا . (يشير الى الكتاب) .

صاحب الدور الاول – ولكن هذا مضحك الى ابعد حد !

المدير (ناهضاً بغضب) مضحك ! مضحك ! ماذا تريدني ان افعل ان اصحنا لا تأتينا من فرنسا بعد اية مسرحية جيدة ، وان اصبحنا مضطرين الى تمثيل مسرحيات لبيراندللو لا تفهم منها كلمة واحدة . ويبدو ان مؤلفها انما تعمد كتابتهـــا ليسخر بي وبك وبالجمهور ؟ (يضحك الممثلون ، ويقترب المدير من صاحب الدور الاول .) نعم يا سيدي، ستضع طاقية الطباخ هذه ! نعم يا سيدي، وستخفق هذا البيض ! لعلك تتصور نفسك بهذا البيض وانت تمثل مسرحية كسائر المسرحيات ؟ وإذن فلا تنخدع بعد! انك تمثل قشرة البيض الذي تخفقه الآن ! (يعـــود الممثلون الى الضحك ، ويتبادلون تعليقات ساخرة.) سكوت . ارجوكم ان تستمعوا إلي حين اتولى شرح شيء ما. (لصاحب الدور الاول) إن العقل صدف فارغ اذا لم تملأه الغريزة العمياء ! انك انت تمثل العقل ، وزوجتك تمثل الغريزة في « لكل دوره »، ودورك هو ان تكون انت دميتك بالذات ... هل فهمت ؟

صاحب الدور الاول (متشابك الذراعين) – اتريد الصراحة ، لا !

المدير (عائداً الى مكانه) . – الا تفهم ؟ حسنا ! وانا ايضا لا افهم ... لنتابع . لنتابع . ستكون صفعة جميلة (بصوت منخفض) ارجوكم ، قفوا جيـــداً . مع غرابة هذا الحوار ، ان لم يسمعكم الجمهور، فهناك الطامة الكبرى (صافقا يديه) هيا بنا، هل نحن على استعداد؟ لنتابـــع ... لنتابـــع.

الملقن : استميحك العذر يا سيدي المدير ، هل تسمح لي بأن اضع الغطاء على المكمن ؟ إن مجرى الهواء فظيع .

المدير : طبعا ، طبعا . افعل ما تشاء .

(في هذه الاثناء ، يدخل حاجب المسرح من باب الكواليس، ويتقدم متمهلاً على رؤوس اصابعه دائراً حول الممثلين ويرفع قبعته المزينة بشريط فيقترب من طاولة المدير . وبينما هو يفعل ذلك يدخل الاشخاص الستة ايضا ويقفون بالقرب من الباب . وحـــين يعلن الحاجب مقدمهم للمدير ، يكونون قد اصطفوا في اقصى المسرح حيث يبدو ان شعاعا غريبا كأنه يشع منهم يحيط بهم منـــذ ظهورهم ولا يكاد يبين ، كأنما هو بخار خفيف لحقيقتهم الوهمية .

وما يلبث هذا الشعاع ان يتلاشى حين يتقدمون ليتصلوا بالممثلين . على انهم يحتفظون ببعض مامييز الحلم من تغير وعدم صلابة ، ولكن ذلك لا يؤثر اي تأثير في الحقيقة الرئيسية لأشكالهم وتعبيرهم.

الاب في الخمسين من عمره ، أحمر الشعر قليله وإن لم يكن اصلع ، ذو شاربين صغيرين كثيفين يغطيان فما لا يزال نضراً تطيف به بين لحظة واخرى بسمة خائرة فارغـــة . اقرب الى السمنة ، اصفر الوجه عريض الجبين ، ذو عينين زرقاوين مستطيلتين ، حيتين نافذتين ، «بنطلون» مشرق اللون ، وسترة داكنة ، يعبر تارة بعذوبة، وتارة اخرى بنبرات مرة قاسية .

اما الام فتبدو رازحة تحت عبء مريع من الخجل والحياء . ترتدي خماراً كبيراً لارمل وثوبا متواضعا اسود . حين ترفع خمارها ، يظهر وجه ليس هو وجهـــا متألما وانما هو ممنقع . عيناها دائما مطروقتان .

واما بنت الزوجة ، ففي الثامنة عشرة، مدعية متفطرسة تقريبا . انها جميلة جداً . ثوب حداد ، ولكنه انيق اناقة صارخة . تعامل بنفاد صـــبر الصبي. (في الرابعة عشرة، خجول محزون وشارد تقريبا) ولكنها تظهر بالعكس حنانا بالغا لأختها الصغيرة الطفلة (اربع سنوات ، ثوب ابيض ذو نطاق اسود) .

واما الابن ، ففي الثانية والعشرين ، طويل ، متصلب في وقفة احتقار مكبوت للأب . ولامبالاة غاضبة تجاه الام . يبدي ما يفهم منه انه انما وجد هناك ، على المسرح ، بالرغم منه .)

الحاجب (وقبعته في يده) – استميح حضرة المدير عذراً ...

المدير (قافزاً بانتفـــاض وسوء ادب) – ماذا هناك ؟

الحاجب (بخجـــل) – انهم هؤلاء السادة والسيدات ... يريدون ان يتحدثوا الى حضرة المدير .

المدير (غاضبا) – ولكننا الآن في اثناء التجربة . وانت تعرف مع ذلك انني ارغب في الهدوء أثناء التجارب ...

(يلتفت نحو الداخل) – ماذا تريدون ايها السادة ؟

الأب (مقتربا يتبعه سائر الأشخاص قائلين) نعم ... يا سيدي ... اننا نفتش عن مؤلف...

المدير (نصف دهش، نصف مغيظ) – مؤلف ؟ اي مؤلف ؟

الأب – اي مؤلف كان يا سيدي .

المدير – ليس عندنا ادنى مؤلف هنا ... وليست عندنا مسرحية جديدة نجربها .

بنت الزوجة (بحيوية ومرح) – هذا احسن يا سيـــدي ، احسن . بوسعنا ان نكون مسرحيتك الجديدة ...

الممثلون (ضاحكين فيما بينهم) – بم تهرف ؟

الاب (لبنت الزوجة) – طبعا... ولكن ان لم يكن ثمة مؤلف ؟ (للمدير) إلا اذا وافقت يا سيدي المدير على ان تكونه انت نفسك .

المدير – انت تمزح .

الاب – على الاطلاق يا سيدي . انا نحمل لك مأساة .

بنت الزوجة – اجل ، نستطيع ان نوفر لك ثروة عظيمة .

المدير – آه ... نعم . إذن ، ففي انتظار ذلك ، هل لكم ان تحققوا لي رجاء ؟ اغربوا من هنا ... ليس عندنا وقت نضيعه مع مجانين..

الأب (مجروحا، ولكن مترفقا) – اوه . يا سيدي . انك مع ذلك تعلم كما اعلم ان الحياة ملأى بالعبث الذي قد يبلغ به العناد الاستمرار حداً يجعله غير محتمل. او تدري لماذا ، يا سيدي المدير ؟ لأن هذا العبث حقيقي .

المدير – ولكن بأي شيء تهذي يا الهي ؟

الاب – اقول يا سيـــدي ان الجنون هو البحث عن المحتمل ، بحجة الإيهام بالحقيقي . وإن هذا الجنون ، واعذرني لتنبيهي اياك ، هو السبب الوحيد لوجود مهنتك .

(الممثلون يحتجون)

المدير (ينهض ويحدق اليه) – آه . صحيح . إن مهنتنا تبدو لك مهنة مجانين !؟

الأب – يا الهي . إن منح مظهر الحقيقي لما ليس حقيقيا على الاطلاق ... وهذا يا سيدي

دون ما ضرورة ، وانما لمجرد التمثيل ... وايا ما كان ، أليست مهنتكم هي إحياء شخصيات خيالية على المسرح ؟ نعم ام لا ، انني ...

المدير (مقاطعا اياه ، وقد اثاره غيظ الممثلين المتزايد) – وانا ارجو يا سيدي العزيز ان اذكرك بأن مهنة الممثل على غاية الرفعة والنبل . واذا لم يكن مؤلفو اليوم يعطوننا إلا مسرحيات بليدة للتمثيل ولا يلدون للعالم إلا دمى، بدلاً من ان يخلقوا شخصيات انسانية ، عميقة الانسانية ، فهذا لا يمنع ان نفخر باننا قد أحيينا هنا ، على هذه الالواح ، آثاراً خالدة .

(يقر الممثلون المدير على كلامه ويصفقون له مسرورين)

الأب (مقاطعا اياه بثورة)–هذا صحيح تماما. انكم تمثلون كائنات حية ، اكثر حياة من كائنات تتنفس وتجد اسماءها في السجلات المدنية . كائنات ربما كانت اقل حقيقة ، ولكنها اكثر واقعية ... اننا في ذلك على اتفاق ...

(الممثلون يتبادلون النظرات مندهشين)

المدير – ولكن كيف ذلك ؟ لقد بدأت بالقول ان ...

الأب – اسمح لي ... اني اجيبك . لقد قلت انه ليس لديك وقت تضيعه مع المجانين ، ومع ذلك فليس من يعرف خيراً منك ان الطبيعة تعمد الى الخيال الانساني لتتابع على صعيد اسمى عملها الخلاق .

المدير – هذا صحيح تماما ! ولكن الى اي شيء تقصد ؟

الأب – الى لا شيء يا سيدي ! انما اردت ان ابرهن لك فقط بان المرء يولد للحياة تحت الف مظهر وبالف شكل . قد يولد شجرة او حصاة او جرة او فراشة ... او امرأة . وقد يولد ايضا ممثل مسرح .

المدير (بدهشة مصطنعة مايثة سخرية) – وهل تراك ، مع صحبك هؤلاء ، قد ولدتم اشخاص مسرح ؟

الأب – بالضبط يا سيدي المدير . وكلنا احياء كما ترى .

(المدير والممثلون ينفجرون ضاحكين ، كما لو انهم سمعوا نكتة طريفة)

الاب (منزعجا) – يؤسفني ان اجعلكم تضحكون هكذا ... اردد لكم اننا نحمل في نفوسنا مأساة. والواقع ان بوسعكم ان تدركوا ذلك من مشهد هذه السيدة التي ترتدي ثياب الحداد.

المدير (فاقداً صبره واعصابه) – اوه ... بحسبنا ذلك! أخلوا لنا المسرح (الى مدير المسرح) ارجوك ... اعمل على اخلاء المسرح .

مدير المسرح (مطيعا) – هيا تفضلوا بالخروج (يدفعهم نحو المخرج)

الاب (مقاوما) – لا ، لا..استمعوا الينا .. نحن ..

المدير (صائحا) – ونحن..نحن..هنا لنشتغل.

صاحب الدور الاول – ليست الاستجابة لمثل هذه المضحكات شيئا مسموحا به !

الاب (عازما يتقدم) – ان ارتيابكم ليدهشني حقا .. الم تتعودوا انتم الممثلين ان تعيشوا في انفسكم الاشخاص الذين يخلقهم مؤلف ، فتنصبوا بعضهم ضد بعض؟ انكم تترددون امامنا لان كتيب الملقن لا يحتوينا ..

بنت الزوجة (تتقدم من المدير باسمة مثيرة)– تأكد يا سيدى المدير انك امام ستة اشخاص لهم اهمية كبيرة ، بالرغم من انهم تائهون ..

الاب (مبعداً اياها) – نعم، تائهون اذا شئتم (للمدير) واليكم التفصيل : ان المؤلف الذي اعطانا الحياة لم يشأ او لم يقدر مادياً ان ينجز وضعنا في العالم ، في عالم الفن .. وكان هذا جريمة . إن من يحظى بان يولد بطلاً – بطل مسرح – حياً ، يستطيع ان يضحك من الموت. انه خالد . ان الرجل ، الكاتب الذي هو اداة الخلق ميت لا محالة ، اما مخلوقه فلن يموت ابداً . ولاحظوا بعد انه ، لكي يعيش سرمدياً ، ليس بحاجة الى مواهب عجيبة ولا الى اقتراف المعجزات. من كان سانشو بانسا ؟ ومن هو دون ابوندیو ؟ ومع ذلك فانهما سيعيشان الى الابد، لأنهما بذرتان قابلتان للحياة اسعدهما الحظ بلقاء ارض خصبة تمخضت بهما وغذتهما ، واعطتهما الحياة الخالدة !

المدير – كل هذا جميل .. ولكن الى اين تريد ان تنتهي ؟

الاب – نريد ان نعيش ، يا سيدي المدير .

المدير (بسخرية) – الى الابد ؟

الاب – كلا يا سيدي، وانما فترة على الاقل، فيكم .

ممثل – تباً لك !

المتغنجة الكبرى – يريدون ان يعيشوا فينا !

البطل الشاب (مشيراً الى بنت الزوجة) – اني اقبل بكل ترحاب ، ان كان ذلك للعيش معها !

الاب – افهموا جيداً : ان المسرحية تحتاج لى تأليف . (للمدير) ولكن اذا وافقت انت وممثلوك ، فان باستطاعتنا فوراً ان نضعها بالتشاور.

المدير (مغيظا)– ولكن باي شيء تريد ان نتشاور . اننا هنا لنقرأ مسرحيات ..

الاب – من اجل هذا بالضبط اتينا للقائكم .

المدير – اين مخطوطتكم ؟

الاب – انها في اعماقنا يا سيدي المدير (الممثلون يضحكون) ان المأساة في انفسنا ؛ اننا نحن المأساة واننا شديدو الشوق لتمثيلها استجابة للعاطفة التي تغلي في انفسنا .

بنت الزوجة (بلهجة احتقار وفتنة ماجنة) آه ! لو انك يا سيدي تعرف عاطفتي..عاطفتي له.

(تومىء الى الاب وهي تشير اشارة المعانقة ، ولكنها تنفجر بضحكة صاخبة)

الاب (غاضبا) – انت، ابقي في مكانك في الوقت الحاضر ! وارجوك ان تكفي عن الضحك.

بنت الزوجة – آه .. ليس لي الحق في ان اضحك .. حسنا ايها السادة .. بالرغم من اني لست يتيمة الا منذ شهرين، فانظروا كيف احسن الغناء والرقص !

(تبدأ رقصة « انتبهوا الى تشوتشن تشو » من موسيقى ديف ستمبر وقد حولها فرانسيس سالابير الى فوكس تروت او وان ستيب بطيء ، وتغني المقطع الاول وهي تصاحبه بخطوة راقصة)

الصينيون شعب لخبيث
من شانغاي الى بكين
لقد وضعوا لوحات في كل مكان
انتبهوا الى تشوتشن تشو .

الممثلون والممثلات (يصفقون)– هذا رائع.. برافو .. ممتاز !

المدير (غاضبا) – سكوت ! لكأننا في مقهى بلدي ! (منتحيا بالاب جانبا من المسرح ، بقليل من التبرم) قل لي هل هي مجنونة ؟

الاب – مجنونة.يا ليت..انها اسوأ من ذلك !

بنت الزوجة (مقاطعة اياه ومتوجهة للمدير)– اسوأ من ذلك ! اسوأ من ذلك ! نعم يا سيدي المدير . اسوأ من ذلك ! اصغ الي ارجوك.دعنا نمثل مأساتنا فوراً.. فسترى في لحظة من اللحظات ما الذي افعله (تأخذ بيد الطفلة التي هي واقفة بجانب الام وتدنو بها من المدير) يا حبيبتي ، يا حبيبتي (تأخذها بين ذراعيها وتضمها اليها) هذه الحبيبة المسكينة الصغيرة .. كم هي جميلة ! (تريحها على الارض وتضيف على مضض ، وهي مضطربة متأثرة) سترى كيف ان الله ينتزع هذه الطفلة الحبيبة من ذراعي امها فجأة ، وكيف ان هذا الابله (تدفع الصبي الى الامام وهي تجذبه من كمه بقسوة) سيرتكب اكبر الحماقات ، هو المعتوه .. (تدفعه مرة ثانية بوحشية نحو الام)..

سترى حينذاك اذا كانت الحماسة ستأخذني ! نعم.. الحماسة، الحماسة يا سيدي .. ما اشد شوقي اليها. اجل .. بعد ما حدث بيني وبينه (تومىء الى الاب بنظرة مريعة) على صعيد مغرق في صميميته.. انني بت لا اطيق ان ارى نفسي وسط هؤلاء الناس ، ولا ان اشهد تعذيب امي، بسبب خطيئة هذا الابله الكبير (تشير الى الابن) انظروا اليه لا مباليا مثلجا ، لأنه الابن الشرعي .. يمتلىء احتقاراً لي ، من اجل هذا (تشير الى الصبي) ومن اجل هذه الصغيرة الحبيبة ، لأننا نحن اولاد زنى . اتفهم . اولاد زنى (تقترب من الام وتعانقها) .. وهذه الام المسكينة ، التي هي امنا نحن الاربعة ، لا يريد ان يعتبرها امه ، فينظر اليها من فوق الى تحت كما لو انها ليست الا ام ثلاثة ادعياء .. نذل !

(هذا المقطع يقال كله بسرعة بلهجة اهتياج شديد . وبعد ان تكون بنت الزوجة قد القت بملء صوتها كلمة « اولاد زنى » تنطق الكلمة النهائية « نذل » بصوت منطفيء ، كما لو انها تبصقها) .

الام (بضيق شديد للمدير) – يا سيدي ، باسم هذين المسكينين ابتهل اليك .. (يعتريها ضعف) .. اوه ! يا الهي !

الاب (يساندها والممثلون يساعدونه) – بالله عليكم، ايتوني بكرسي، كرسي لهذه الارمل المسكينة ..

الممثلون (متسارعين) – لقد كان هذا اذن صحيحا . انها يغمى عليها حقا .

المدير – هيا ، اعطوه كرسيا .

(يحمل احد الممثلين كرسيا ، بينما يحيط الباقون، وهم ممتلئون رغبة بالمساعدة، بالام الجالسة التي تحاول ان تمنع الاب من ان يرفع الغلالة التي تغطي وجهها)

الاب – انظر اليها، يا سيدي ، انظر اليها..

الام – لا ، لا .. حسبك ، ارجوك ..

الاب – بلى، دعهم يرونك (يرفع الغلالة)

الام (ناهضة ، مغطية وجهها بيديها بيأس) – ابتهل اليك يا سيدي ... امنعها من ان تنفذ مشروعها . ان ذلك سيكون شديد الترويع لي.

المدير (دهشا) – بت لا افهم شيئا ... (للأب) هل السيدة زوجتك ؟

الاب – تماما ، يا سيدي ، انها زوجتي .

المدير – لماذا تقول اذن انها ارمل، ما دمت حيا؟

(الممثلون ينفجرون بالضحك ، كأنهم قد تعزوا)

الاب (منزعجا ، وبمرارة) – امنعكم من ان تضحكوا ... بالله عليكم لا تضحكوا هكذا ... هنا تكمن مأساة هذه المرأة ، يا سيدي المدير ... لقد كانت لرجل سواي ... رجل آخر كان عليه ان يكون هنا !

الام (في صرخة) – اوه .. كلا .. كلا..

بنت الزوجة – من حسن حظه انه مات منذ شهرين ، كما قلت لك . ونحن لا نزال نلبس عليه الحداد ، كما ترى .

الاب – لئن لم يكن هنا فليس ذلك لأنه قد مات . انه ليس هنا .. انظر هذه المرأة يا سيدي ، ارجوك ، تمهم على الفور لماذا . ليست مأساة هذه المرأة انها قد احبت رجلين . انها لم تكن جديرة بحب كبير . لعل كل ما كانت تشعر به ، بعض عرفان الجميل ، لا لي ، وانما للآخر . انها ليست عاشقة ، وانما هي ام ! وان مأساتها ، مأساة عظيمة يا سيدي ، عظيمة ! – هي انها رزقت بالاولاد الاربعة الذين تراهم هنا ، من الرجلين اللذين كانا رجليها .

الام – رجلاي ! ألديك الشجاعة لتقول ان هذين الرجلين كانا لي ، كما لو انني انا التي احدثتها ؟.. انه هو الذي اعطاني للآخر ، بالقوة ! لقد اجبرني على ان اذهب معه .

بنت الزوجة (بغيظ) – ليس هذا صحيحاً . .

الام (متبرمة) – كيف، ليس هذا صحيحاً ؟

بنت الزوجة – ليس هذا صحيحاً ، ليس هذا صحيحاً !

الام – وما يدريك من ذلك ؟

بنت الزوجة – ليس هذا صحيحاً ! (للمدير) لا تصدقها ! اتدري لماذا هي تتكلم كذلك ؟ (مشيرة الى الابن) بسببه هو ! انها تتأكل ، تعذب نفسها بسبب هذا الابن ، ابنها الاكبر . وهي تريد ان تقنعه بانها اذا كانت قد تركته حين كان لا يزال في الثانية من عمره ، فانما كان ذلك لأن هذا (مشيرة الى الاب) قد قسرها قسراً .

الام (بقوة) أشهد الله انه قسرني على ذلك قسراً ! (للمدير) اسأله (مشيرة الى الزوج) ان كنت اكذب ! دعه يعترف ! (مشيرة الى ابنتها .) انها لا تستطيع أن تعرف من ذلك شيئاً . .

بنت الزوجة – اعرف انك كنت سعيدة كل السعادة مع ابي طوال حياته . قولي العكس ان كنت تجرؤين !

الام – انني لا اقول العكس . .

بنت الزوجة – لقد كان شديد الحب لك والاعتناء بك (للصبي بغضب) ولكن قل ان هذا صحيح ، تكلم قليلاً ، ايها الابله !

الام – دعي هذا الصبي المسكين هادئاً ! لماذا تريدين اقناع الناس باني عاقة يا ابنتي ؟ انني لم ارد ان اسيء الى ذكرى ابيك ، فأجبت بكل بساطة انني لم اهجر منزلي وابني لخطأ بسببي او لرغبة مني !

الاب – هذا صحيح ، يا سيدي ، فانا الذي اردت ذلك .

صاحب الدور الاول (لسائر الممثلين) – ان هذا في الحق مشهد غريب !

المغنجة الكبرى – انهم يقدمون لنا مسرحية !

الفتى الاول – ان مرة لا تعني عادة !

المدير (وقد بدأ يهتم بالقصة اهتماماً حاراً) لنر التتمة قليلاً .

الابن (مقترباً من المدير ببرودة ، هادئا وبسخرية) – سترى... انه سيحدثك عن شيطان التجربة .

الاب – انت هزاء سخيف ، وقد قلت لك ذلك مئة مرة ! (للمدير) انه يهزأ بي بسبب هذه العبارة التي وجدتها للاعتذار .

الابن (محتقراً) – آه ... نعم ! عبارات !

الاب . – عبارات ، عبارات ! كما لو انه ليس مما يعزي جميع الناس امام حدث لا سبيل الى شرحه ، امام مصيبة تتأكلنا ، ان يجدوا كلمات لا تعني شيئاً ، وانما تهدئنا .

بنت الزوجة – وتهدىء خصوصاً تبكيت الضمير .

الاب – تبكيت الضمير ، لم اهدئه في نفسي بمجرد كلمات .

بنت الزوجة – بقليل من المال ايضاً . نعم ، نعم، بقليل من المال! بالفرنكات المئة التي سنقدمها لي ، ايها السادة ، على سبيل الاجرة .

(حركة ارتعاد بين الممثلين)

الابن (باحتقار ، لأخته من امه) – إن هذا لنذالة ...

بنت الزوجة – أهذه نذالة؟ لقد كانت في مغلف ازرق، على طاولة بلاذرية في الغرفة الخلفية لحانوت السيدة باس. لعلك تعرف يا سيدي ؟ إنها احدى هاتيك « السيدات » اللواتي يجتذبن الى منازلهن فتيات مسكينات ينتمين لأسر طيبة ، بحجة بيع الاثواب والمعاطف .

الابن – وإذن ، فان هذه الفرنكات المئة التي سيدفعها لك والتي لحسن الحظ لم يدفعها لك ، لاحظي ذلك جيداً ، تعطيك الحق في ان تطغي علينا جميعاً .

بنت الزوجة – ايه ! ذلك اني كدت حقـاً اربحها ، كما تعلم ! (تنفجر ضاحكة)

الام (منتفضة) – الا تخجلين ؟

بنت الزوجة – أخجل ؟ ان هذا ثأري ! آه يا سيدي ! اني ارتعش شوقاً الى أن اعيشها ، تلك الحادثة ! آه ! هذه الغرفة ... هنا واجهة المعاطف ، وهناك ديوان ومرآة وستار ، وامام النافذة الطاولة البلاذرية الصغـيرة ، مع المغلف الازرق الذي يحتوي الفرنكات المئة . اني اراه ، ذلك المغلف ، وبوسعي ان التقطه ! آه ، ايها السادة ، كان ينبغي لكم الا تنظروا ... انني شبه عارية ... بت لا احمر خجلاً ، لأنه هو الذي يحمر الآن (تشير الى الاب) ولكني اؤكد لكم انه كان ممتقع اللون ، ممتقعاً جداً تلك اللحظة ! (للمدير) بوسعك ان تصدقني يا سيدي !

المدير – الحق اني لا افهم بعد .

الاب – اعتقد ذلك ، ما دمت تقصف هكذا من جميع الجهات ! اطلب بعض النظام في الرواية يا سيدي ، ودعني اتكلم من غير ان اهتم بالحزي الذي تحاول هي ان تلحقه بي بمثل هذه القوة ، دون ان تتيح لي اي توضيح او تفسير .

بنت الزوجة – لا ، لبس هـذا مجال رواية شيء على الاطلاق .

الاب – لا اريـد ان اروي ، وانما اريد ان اشرح .

بنت الزوجة – نعم ، على طريقتك .

الاب – الحق ان المصيبة كلها آتية من هنا . انها في الكلمات . ان لنا جميعاً عالماً في انفسنا ، وهو عالم مختلف لكل منا . فكيف نستطيع ان نتفاهم ، يا سيدي ، اذا كان للكلمات التي انطق بها معنى وقيمة بالنسبة الى العالم الذي هو في نفسي ، في حين ان الذي يسمعني يعطيها من غير شك معنى وقيمة بالنسبة للعالم الذي يحمله في نفسه ؟ يخيل للناس انهم يتفاهمون ، وهم غير متفاهمين إطلاقاً ! انظر مثلاً (يشير الى الام) ان شفقتي ، كل شفقتي على هذه المرأة ، قد فسرت من قبلها على انهـا اشد القساوات واكثرها افتراساً .

الام – ولكن ما دمت قد طردتني ؟

الاب – اتسمعها ؟ انها تقول « طردتني » ، لقد ظنت اني طردتها !

الام – انت ... انت تعرف ان تتكلم . اما انا فلا اعرف ... ولكن بوسعك ان تصدق يا سيدي انه بعد ان تزوجني ... ولماذا تزوجني ؟ لم اكن الا فتاة مسكينة متواضعة .

الاب – الحق اني انما تزوجتك لتواضعك ، كنت احب فيك تواضعك ، ظناً مني (يكف عن الكلام ازاء انكار الام ، ويفتح ذراعيه في حركة يأس ، ازاء امتناعها عن فهمه ، ويتجه نحو المدير) لا ؟ إنك ترى . انها تقول لا . ان صمتها ، صمتها الفكري مريع . اما القلب ، فان لها قلباً ، نعم ، من اجل اولادها ! ولكنها صماء ، يا سيدي ان عقلها اصم ، اصم صماً موئساً !

بنت الزوجة – ولكن قل ايضا الآن ماذا افدنا من ذكائه العظيم ؟

الاب – اوه ! ليت بالامكان التنبؤ بكل الشر الذي يمكن ان يولد من الخير الذي نحسب اننا نفعله !

(المتفنجة الكبرى تغضب اذ ترى صاحب الدور الاول يغازل بنت الزوجـة ، متقدم وتسأل المدير)

المتفنجة الكبرى – عفواً يا سيدي المدير ، هل سنمضي في التجربة ؟

المدير – نعم ، نعم . ولكن دعيني اسمع الآن .

الفتى الأول – ان هذا وضع جديد تماما .

الفتاة الساذجة – وضع مهم جداً !

المتفنجة الكبرى (ناظرة شزراً الى صاحب الدور الاول) – للذين يهتمون به ...

المدير (للاب) – ينبغي ان تشرح لي الاشياء بوضوح . (يجلس)

الاب – حسنا ! هذه هي القصة ! كان معي يا سيدي المدير رجـل مسكين هو مستخدمي ، سكرتيري ، كائن ممتلىء اخلاصا ، متفاهم حول كل شيء معهـا (يشير الى الام) اوه ! دون التفكير بالشر طبعا . كان طيبا ومتواضعا ، مثلها . كلاهما غير جدير بارتكاب الشر او حتى بالتفكير به .

بنت الزوجة – وكان هو الذي فكر بالشر لها ، وارتكبه !

الاب – هذا خطـأ . لقد اردت خيرهما ، وخيري انا ايضا ، واعترف بذلك ! وقد بلغ بي الامر ، يا سيدي ، اني لم اكن استطيع ان اقول كلمة لاحدهما حتى اراهما يتبادلان نظرة ذكية ! نعم ، كانا يتشاوران بالنظر ليعلما كيف يحسن ان يتلقيا ما اقوله لهما كيلا يغيظاني . ولكنك تدرك جيداً ان هذا كان يكفي لاثارة حنقي ، ولدفعي الى حالة من الغيظ لا تحتمل .

المدير – ولماذا لم تطرد سكرتيرك ؟

الاب – الواقع اني طردته ، فرأيت اذ ذاك هذه المرأة المسكينة تتيه في بيتي كالحيوان الضائع ، كأحد هذه الحيوانات الـتي لا مالك لها ، والتي يلتقطها الناس بدافع من إحسان .

الام – ايه ! انك صادق تماما !

الاب (ملتفتا نحوها ليستدرك ما سوف تقوله) – ستتحدثين عن ابنك ، اليس كذلك ؟

الام – اجل يا سيدي ، لقد انتزع مني ابني ...

الاب – طبعا ... ولكن لم يكن ذلك بدافع قسوة ، وانما من اجل ان يكبر ويترعرع قويا سليما في الاتصال بالارض ...

بنت الزوجة (مشيرة الى الابن بسخرية) – نتيجة طيبة !

الاب – ليس من خطأي اذا اصبح كذلك ! لقد عهدت به الى مرضع في الريف ، يا سيدي ، الى فلاحة ... ولم تكن زوجتي تبدو لي قوية بحيث تستطيع تغذيتـه ، وان كانت تنتمي الى الشعب . انه دائما السبب نفسه ، السبب الذي حدا بي الى الزواج منهـا ؛ لعل هذا هوس عندي ، ولكن ما حيلتي ؟ كنت دائما انشد صحة معنوية قوية ! (بنت الزوجة تنفجر بضحكة صاخبة) ... ولكن اخرسوها ... ان هذا لا يطاق .

المدير – احرسي ! دعيني اسمع ! يا لله !

بنت الزوجة – حسنا يا سيدي . ولكن الصحة المعنوية لزبون غرفة خلفية لحانوت كجانوت السيدة باس ...

الاب – يا لك من باباء ! هذا ما يجعلني رجلاً ! ان ما قد يبدو لك تناقضا يا سيدي هو الدليـل الواقعي على ان امامك شخصا حيا . والحق اني من جراء تناقضي وصلت الى التألم كما اتألم ! لم يكن بوسعي ان اعيش بعد مع هذه المرأة ! (يشير الى الام) ولكن صدقني ان ذلك كان بسبب الاسى والضيق اللذين كنت استشعرهما لها اكثر مما كان بسبب الضجر القاتل – اجل ضجر حقيقي خانق – الذي كان يثقل علي .

الام – ومن اجل هذا طردني !

الاب – نعم يا سيدي ، مع كل ما كانت تحتاج اليه . لقد اعطيتها هذا الرجل ليحررها مني .

الام – ولكي يستعيد حريته ...

الاب – اجل ، اقر ذلك ، لكي اتخلص منها . كل المصيبة تأتت من هناك . ولكني فعلت ذلك وانا اعتقد اني افعل من الخير لها اكثر مما افعل لي ، واقسم على ذلك . (مشبكا ذراعيه تجاه الام) قولي لي : هل ابتعدت عنك لحظة ، الى ان اقتادك الآخر ذات يوم ، بالخفية عني ، الى مدينة اخرى ، وهو مغتاظ اغتياظا بايداً من الاهتمام الذي كنت اوجهه لك ، على الرغم من انه اهتمام نقي الى حد بعيد ، وانه ، صدقني يا سيدي ، لم تكن له غاية اخرى ؟ لقد اهتممت بالاسرة الجديدة الصغيرة

التي كانت تترعرع اهتماما عاطفا حنونا (مشيراً إلى بنت الزوجة) وإن بوسعها ان تشهد بذلك ...

بنت الزوجة ـ وكيف! كنت لا ازال طفلة، جدائلي على ظهري، وسروالي يتعدى ثوبي المرتفع هكذا، فأجده وهو ينتظرني عند باب المدرسة. كان يأتي ليراقب نموي ...

الاب ـ اي غدر! إن هذا لؤم ... إن هذا بشع!

بنت الزوجة ـ ولماذا؟

الاب ـ اجل انه لؤم! (للمدير بلهجة شرح، سريعة.) حين ذهبت هي (مشيراً الى الام) بدا لي البيت فارغاً. هذه المرأة كانت كابوسي، ولكن حضورها كان يملأ البيت. كنت اتيه في البيت كذبابة لا رأس لها. (مشيراً الى ابنه) وحين عاد هذا الى منزلي، وكان قد ربي في الخارج، شعرت بانه ليس هو شيئاً بعد بالنسبة لي. ولما لم تكن امه في المنزل، لنقوم صلة وصل بيني وبينه، فقد كبر وحده، على حدة، دون اية علاقة عاطفية او فكرية معي. واذ ذاك ـ وهذا ما سيدولك غريباً يا سيدي، ولكنه هو الحقيقة ـ بدأت أشعر بالفضول، ثم بلون من الانجذاب، انجذاب حنون نحو بيت الاسرة الصغيرة التي شاركت في خلقها. وجعلت املأ الفراغ الذي كان يكتنفني بالتفكير بهؤلاء الاولاد. كنت بحاجة ـ نعم انها حاجة على وجه التحقيق ـ الى الاعتقاد بان هذه الاسرة كانت هادئة، مشغولة بأيسر هموم الحياة، سعيدة، خارجة وبعيدة جداً عن تعقيدات ذهني وآلامه. وانما كنت اذهب لرؤية هذه الصغيرة عند خروجها من المدرسة، لألتمس الدليل على ذلك.

بنت الزوجة ـ اي نعم! كان يتبعني في الطريق ويسلم لي، وحين كنت ابلغ البيت، كان يحييني بيده، هكذا. وكنت انظر اليه مباعدة بين عيني بشراسة. لم اكن اعرف من هو. وحدثت امي في الامر، ولا ريب في انها فهمت على التو انه هو (الأم تومىء برأسها ان نعم). وكفت عن ارسالي الى المدرسة بضعة ايام. وحين عدت الى المدرسة، رأيته من جديد عند الباب ـ وكان هذا غريباً ـ ومعه علبة كبيرة في يده. ودنا مني فربت على كتفي واخرج من العلبة قبعة كبيرة من القش الفلورنسي مزينة باضمومة من زهور نوار... كانت القبعة لي!

المدير ـ اوه. ولكن... الحق انها قصص...

الابن (محتقراً) ـ الواقع انه ادب صرف..

الاب ـ ادب! انه الحياة يا سيدي، انه الألم..

المدير ـ ربما كان هذا صحيحاً، ولكنه ليس قابلاً للتمثيل..

الاب ـ انني اقرك على ذلك تماماً يا سيدي المدير. كل هذا يحدث قبل ان يرفع الستار. ومما لا فائدة منه ان يدرج في التمثيلية (مشيراً الى بنت الزوجة) وانك لترى انها ليست هي بعد طفلة ذات جدائل متدلية على ظهرها.

بنت الزوجة ـ ولا ذات سروال يتعدى الثوب..

الاب ـ ان المأساة حديثة جداً يا سيدي. انها مأساة مبتكرة، معقدة، مهمة الى ابعد الحدود، وبوسعك ان تؤمن بما اقول.

بنت الزوجة ـ حين مات ابي..

الاب ـ كانت الفاقة يا سيدي! هاهم يعودون إلى هنا دون ان اعلم ذلك. وذلك بسبب بلادتها (مشيراً الى الام) صحيح انها لا تكاد تعرف الكتابة، ولكن كان بوسعها ان تستكتب ابنتها او الصغير بانهم كانوا في العوز.

الأم ـ انك تقرني يا سيدي على اني لا استطيع ان احرز جميع هذه العواطف الرفيعة.

الاب ـ ان نقيصتك الكبرى هي انك لم تحرزي يوماً اياً من عواطفي.

الام ـ بعد هذه السنوات الطويلة من الفراق وبعد كل ما حدث..

الاب ـ هل اكون انا مخطئاً ان خطفكم هذا الرجل الطيب؟ (للمدير) كما قلت لك، لقد خطفهم بين عشية وضحاها لأنه وجد في مكان آخر عملاً ما. وقد استحال علي العثور على آثارهم، وكان طبيعياً بعد ذلك، شيئاً فشيئاً، ان يقل اهتمامي بهم. وانفجرت المأساة يا سيدي بعد عودتهم مفاجئة عنيفة، وفي اليوم الذي انقدت فيه، واحسرتاه، الى شقاء لحمي الذي كان ما زال يحتفظ بحياء.. آه! نعم، اي شقاء للرجل وحده الذي لا يريد ان يقبل علاقات مخزية، الذي لم يصبح من الشيخوخة بحيث يستغني عن النساء، والذي ليس بعد من الفتوة بحيث يتبعهن دون ما خجل! اي شقاء، بل اي رجس!.. ليس باستطاعة اية امرأة بعد ان تعطيك حبا.. وان هذا، حين يدرك، كاف لأن يصرف الانسان عن اية محاولة. آه! يا سيدي، ان كل انسان يظهر خارجيا امام الناس بمظهر الوقار والشرف. ولكن كل انسان يعلم تماما ما يحدث في انفسنا، مما لا يصرح به، ما ان نجدنا وحدنا مع انفسنا.. اننا غالبا ما نستسلم للاغراء، لنسرع بعد ذلك في الوقوف من اجل استعادة وقارنا وشرفنا كاملين صلبين كحجر على قبر، ولكي نخفي عن عيوننا ولندفن جميع الآثار، وحتى ذكرى عارنا. هذا هو شأن الرجال جميعا! ولكن لا يملكون جميعهم الشجاعة للاعتراف بهذه الامور.

بنت الزوجة ـ نعم! اما الشجاعة لارتكابها.. فانهم جميعا يملكونها!

الاب ـ جميع الرجال، ولكن في الخفاء، ولذلك يحتاجون الى هذا القدر الكبير من الشجاعة للاعتراف بهذه الامور. وحين يعترف احدنا بذلك، فسرعان ما يتهم بالخلاعة. والناس في ذلك مخطئون يا سيدي. انه كالآخرين، بل هو خير من الآخرين، لانه لا يخشى القاء نور ذكائه على أحمر العار الذي لا تريد الحيوانية الانسانية ان تواجهه صراحة.. بل انها لتغمض عينيها حتى لا ترى نفسها وهي تحمر خجلا.. المرأة، انك تعلم كيف تفعل المرأة: انها تنظر اليك مغرية، داعية، جاذبة، فتلتقطها! وما تكاد تشدها اليك حتى تغمض عينيها، وتلك علامة استسلامها، العلامة التي تقول للرجل: «اعم فانني عمياء!»

بنت الزوجة ـ وحين لا تغمض المرأة عينيها بعد؟ حين لا تشعر بالحاجة لأن تخفي على نفسها اذ تغمض عينيها، حمرة خجلها، وحين ترى، على النقيض، بعين جافة عديمة الاحساس، احمرار الرجل الذي عمي دون ان يشعر بمزيد من الحب؟ آه! اي اشمئزاز حينذاك من تلك التعقيدات الدماغية، من تلك الفلسفة التي تطلق الحيوان من عقاله ثم تريد ان تنقذه وتلتمس له العذر، انني لا استطيع ان افهم ذلك يا سيدي! حين يكون المرء مقسوراً، كما كنت، على ان «يبسط» الحياة بهذا الشكل الحيواني، اذ يقذف من فوق الشاطيء بمجموع الرصيد «الانساني» من الاماني الطاهرة والعواطف النقية والمثل الاعلى والواجب، ويضحي باحتشامه وخفره، فليس هناك ما يستدعي الغضب او يثير الغثيان الا ندم من هذا النوع، دموع التمساح!

المدير ـ أرجوك لنأت الى الوقائع، فليس هذا كله الا نظريات.

الأب ـ نعم يا سيدي، ولكن الوقائع كالأكياس، ان كانت فارغة لا تقوى على الوقوف، ولكي يقف حادث ما ويكون ذا معنى، فينبغي اولاً ان تدخل فيه الدوافع والعواطف التي أثارته. لم اكن ادري انها (مشيراً الى الام) لكي تغذي أولادها في البؤس، بعد موت هذا الرجل، ستعمل خياطة وتذهب فتطلب عملاً من.. البيدة باس هذه!

بنت الزوجة – آه ! انها خياطة عظيمة ، لو كنت تدري! انها في الظاهر تخدم سيدات المجتمع الراقي ، ولكنها دبرت امرها لكي تخدمها هاتيك السيدات « الراقيات » – هذا بصرف النظر عن الارباح التي تتقاضاها على السيدات الاخريات « الاقل رقياً » !

الام – ستصدقني يا سيدي إن قلت لك انني لم اكن افكر لحظة واحدة بان هذه المرأة الشرسة انما اعطتني عملاً لأنها ألقت بنظرها الى ابنتي.

بنت الزوجة – مسكينة انت يا امي! اتدري ما كانت تعمله السيدة باس هذه حين كنت اعيد لها الثوب ؟ كانت تربني قطعة النسيج وجميع اللوازم التي بذرتها اذ اعطتها الى امي لتخيطها ، ثم إنها كانت تخفض الاجرة وتخفضها وتخفضها ... واذ ذاك ، كنت انا التي ادفع ، ولعلك فهمت ، بينا كانت هذه المرأة المسكينة تحسب انها تضحي بنفسها من اجلي ومن اجل هذين الصغيرين اذ تقضي لياليها وهي تخيط اثواب السيدة باس .

المدير – وذات يوم ، التقيت هناك ...

بنت الزوجة (مشيرة الى الاب) – نعم يا سيدي ، هناك التقيت به ، على انه زبون قديم للحانوت . سوف ترى المشهد الذي نتج عن ذلك ... انه مدهش !

الاب – ووصول امها ...

بنت الزوجة (بمكر) – في الوقت المناسب!

الاب – كلا . من حسن الحظ اني عرفت من هي في الوقت المناسب ، ولقد استقبلتهم جميعا في منزلي يا سيدي . احسب الآن انك تفهم وضعي ووضعها ، وانك لترى موقفها هي ، وانا لا اجرؤ بعد على ان انظر اليها وجهاً لوجه !

بنت الزوجة – إنه لعجيب ! كيف تريد يا سيدي ان استطيع بعد هذا ان ابدو فناة متواضعة و « كما يجب » لأظل على انسجام مع هذه الاماني المزعومة « نحو صحة معنوية متينة » ؟

الأب – ان المأساة كما اعتقد ، هي كلها يا سيدي في وعي بأن على كل منا ان يكون « واحداً » في حين انه « مئة » بل « الف » بل « عدد من الآحاد » يساوي عدد الامكانيات التي لديه... إنه مع هذا واحد ، ومع ذلك واحد آخر ! كل هذا وهو يوهم بأنه هو هو بالنسبة إلى الجميع ، هذا الكائن « الواحد » الذي يحسب اننا اياه في جميع اعمالنا . والحق انه ليس ثمة ما هو اوفر من ذلك حظاً ! ... واننا لنلاحظ ذلك تماما حين يحدث اشتباك او تصادم في وسط أعمالنا ، فلاحظ اننا لم نكن بكليتنا في هذا الضعف او الخور ، وان من الظلم الصارخ ان يحكم علينا عبر هذا العمل وحده وان يشهر بنا طوال الحياة، كما لو ان حياتنا كلها تتلخص في هذا العمل وحده ! اتفهم الآن يا سيدي مكر هذه الفتاة ؟ لقد فاجأتني في مكان وفي وضع ما كان لها ان تراني فيهما ؛ لقد رأتني كما لا ينبغي لي ابداً ان اظهر امام عينيها ، وهي تريد ان تنسب إلي هذه الشخصية التي ما كنت اتوقع ان أتلبسها من اجلها. هذه الشخصية التي كانت شخصيتي في لحظة عابرة ، مخزية من حياتي ! هذا يا سيدي ما اشعر به على الخصوص ! وسترى ان هذا سيكسب المأساة اهمية كبيرة . ولكن هناك ايضاً موقف سائر الاشخاص (مشيراً الى الابن) هناك موقفه ...

الابن (هازاً كتفيه باحتقار) – دعني وشأني فليس شيء يعنيني هنا ...

الاب – كيف لا يعنيك شيء ؟

الابن – لا يعنيني شيء ، ولا ارغب في ان ادخل في اي شأن ... انك لتعلم تماماً اني لم أخلق لأعرض شرفي معك ...

بنت الزوجة – اه ! نعم ، نحن اناس لا قيمة لنا ، اما هو فقد خرج من صلب جوبيتر ... ولكن لعلك لاحظت يا سيدي انني كلما حدجته بنظرة احتقار ، فانه هو الذي يخفض عينيه ... انه يعرف جيداً الشر الذي أصابني به .

الابن (ناظراً اليها بطرف عينه) – انا ؟

بنت الزوجة – انت، نعم، انت ! الرصيف ، انت الذي قذفتني اليه ! اليس هو موقفك الذي حال دون ان تقوم في البيت لا اقول الفة حقيقية، وانما مجرد هذا الاحسان البدائي الذي يبث الاطمئنان في نفوس الضيوف وينزع من قلوبهم الشعور بأنهم ثقلاء غير مرغوب فيهم . لقد كنا الدخلاء الذين اتوا يكنسون ارض «شرعيتك»! آه يا سيدي ، كم اود لو اطلعك على بعض جلسات بيني وبينه ! هو يقول اني اردت ان اطغى على الجميع ! والحق ان موقفه هو الذي دعاني الى استعمال هذه الذريعة التي يصفها بالنذالة ، هذا هو السبب الذي من اجله دخلت هذا البيت مع امي – التي هي ايضاً امه – كخايلة .

الابن – إنه ليسهل عليهم جميعا يا سيدي ان يهاجموني ، فان دورهم يسير . ولكن تصور ابناً يعيش هادئاً كل الهدوء في بيته ، فاذا به يرى ذات يوم فتاة ماجنة تصل فتسأله اين ابوه الذي تود ان تخبره شيئا، ثم يراها فجأة تعود مرة اخرى، بهذه الهيئة نفسها ، تصحبها هذه الصغيرة، ويسمعها تعامل اباه بطريقة غامضة عجلى ، وتطلب منه مالاً بلهجة يقوم معها الافتراض بان هذا المال انما يعطيه اياها هذا الرجل وجوبا .

الاب – والحق انه كان واجبا علي . لقد كان من اجل امك .

الابن – وما كان يدريني، انا ؟ متى سبق لي ان رأيتها ، امي ؟ متى حدثوني عنها ؟ لقد رأيتها تظهر يوما معها (مشيراً الى بنت الزوجة) ومع هذا الصبي وهذه الطفلة . وقيل لي : « اتعلم انها امك ايضا ؟ » . ولقد مكنتني تصرفاتها (مشيراً ثانية الى بنت الزوجة) . من ان ادرك بين ليلة وضحاها كيف دخلتا الى منزلنا... آه ، ياسيدي. إن ما اشعر به ، لا استطيع بل لا اريد ان اعبر عنه ولعل بوسعي على الاكثر ان اسر به اليك ، وانني لأتألم بما فيه الكفاية اذ اصارح به نفسي.فليس لي اذن اي دور العبه في هذه المأساة. صدقني يا سيدي انني شخص غير قابل للتحقيق على المسرح . اجل ، ليس لي ما افعله معهم ، فلأترك وشأني !

الاب – وكيف ؟ ... الحق انك بما خلقت عليه ...

الابن – انى لك ان تعرف كيف خلقت ؟ اتراك اهتممت بي ؟

الاب – هذا مفهوم . واني اقره ! ولكن اليس هو موقفا « قابلاً للسرح » موقفك ذلك القاسي بالنسبة لي ، في ان تظل مبتعداً عن امك التي عادت الى المنزل العائلي والتي تراك للمرة الاولى وقد ترعرعت ، امك التي لا تعرفك ، ولكنها تعلم انك ابنها ؟ (دالاً المدير على الام) انظر اليها ، انها تبكي .

بنت الزوجة (وقد ثار بها الغضب فجعلت تضرب الارض بقدمها) – كالبلهاء !

الاب (دالاً المدير على بنت الزوجة) وهذه لا تستطيع ان تتحمل ذلك ، بالطبع ! (مستمراً الحديث عن الابن) يقول انه لا شأن له بالمأساة، في حين انه قوام الحركة ! انظر هذا الصغير المسكين القابع بالقرب من امه خائفا في وضع ذليل ... انه هو المسؤول عن ذلك . لعل آلم موقف هو موقف هذا الصغير! إنه اشد احساسا من الآخرين بالغرابة ، ان المسكين ليحس بخزي قلق من ان يستقبل في منزلنا كما استقبل ، بدافع الاحسان (بمرارة) انه طبق الاصل عن ابيه . متواضع مثله . انه لا يتاجر بحرف ...

المدير – ليس هذا هو خير ما في مأساتكم.

فانتم لا تستطيعون ان تتصوروا ما يخلفه الاولاد على المسرح من ملل .

الاب – انهذا لن يضجرك طويلا . وكذلك شأن هذه الطفلة . بل انها هي التي ستذهب اولاً . سوف تنحل المأساة على الشكل التالي: حين عادت هذه الام المسكينة الى بيتي فان الاولاد الذين رزقتهم خارج هذا البيت ، هذه الاسرة الاضافية اضمحلت بموت هذه الطفلة ، وانتحار هذا الصغير . وفرار الكبير . بحيث اننا ، بعد هذه الآلام جميعها ، نجد انفسنا نحن الثلاثة – انا والام والابن – وقد اصبحنا بزوال هذه الاسرة الاجنبية ، اجانب نحن ايضاً فيما بيننا ، في حالة فاجعة حتى الموت ... إنه الانتقام ، كما قال هذا على سبيل السخرية ، من شيطان التجربة ، هذا الذي في جلدي ، وأسفاه ، والذي يدفعني الى تحقيق سعادة مستحيلة حين يعوزنا ايمان مطلق ، ذلك الايمان الذي يجعلنا نقبل الحياة كما هي بتواضع ... إن كبرياءنا تدفعنا الى ان نستبدل بالحياة انفسنا ، وان نصنع للآخرين حقيقة نحسبها في صالحهم ، وهي ليست كذلك ... ذلك ان لكل منا حقيقة ينبغي أن تحترم على انها صادرة عن الآله ، حتى حين تسب لنا الشر .

المدير – حسن جداً هذا الذي تقوله . انك ، حقاً تثير اهتمامي ، كثيراً . واني لارى في ذلك مادة مسرحية جملة ...

بنت الزوجة (محاولة ان تشترك في الحديث)– مع شخص مثلي !

الاب (مبعداً اياها ، وهو قلق لمعرفة القرار الذي سيتخذه المدير) – ولكن اخرسي !

المدير (متابعا فكرته)– شيء مبتكر تماماً .

الاب – اليس كذلك ، يا سيدي المدير ؟

المدير – ولكني بحاجة الى شخص عنيد يقدم لي هذا على حاله وعنفه ، بتلك الجرأة ...

الاب – انت تدرك يا سيدي ان من خلق للمسرح مثلنا ...

المدير – أأنتم فنانون هواة ؟

الاب – كلا ، على الاطلاق ... وانما اقول « خلقنا للمسرح » لأن ...

المدير – لا تحاولوا ان تقنعوني ، ولا سيما انت ، بانكم لم تمثلوا ابداً ...

الاب – اؤكد لك يا سيدي المدير اني لم امثل ابداً إلا دوري الحقيقي او الدور الذي فرضه علي الآخرون في الحياة ، وانما هي عاطفتي نفسها التي تتخذ ، حين تستبد بي الحمى ، مظهراً مسرحياً بعض الشيء ، كما هو الشأن لدى الجميع ...

المدير – لا تطل في ذلك . ولكني احسبك تفهم ، يا عزيزي ، انه بدون مؤلف ... اسمع ، بوسعي ان ارشدك الى ...

الاب – ولكن لا .. يجب ان تكون انت نفسك ..

المدير – انك تمزح .

الاب – على الاطلاق : انت ، انت ! ولم لا ؟

المدير – لأنه لم يسبق لي ان الفت اية مسرحية .

الاب – ولم لا تبدأ اليوم ؟ إن هناك كثيرين يكتبون للمسرح ، وليس ايسر من ذلك . ثم ان مهمتك ميسرة بكوننا جميعا احياء ، امامك ..

المدير – إن هذا لا يكفي .

الاب – كيف ولماذا ؟ انك ترانا نعيش مأساتنا امامك ..

المدير – نعم ، ولكن ينبغي ان تكتب .

الاب – لا ، وانما يسجل بكل بساطة ما سنقوله ، مشهداً بعد مشهد . بل يكفي وضع سيناريو مختصر وتطبيقه بالتجربة ..

المدير – انك تكاد تغريني .. وإنها لتجربة تستحق ان تجرب ..

الاب – اجل يا سيدي المدير ، وسترى المشاهد التي ستخرج منها .. ان بوسعي منذ الآن ان ادلك عليها .

المدير – انك تغريني حقا .. سنجرب .. تعال معي قليلا الى مكتبي (للممثلين) بوسعكم ان تنصرفوا فترة من الزمن ، ولكن ارجوكم الا تبتعدوا . فبعد ربع ساعة او عشرين دقيقة على الاكثر سنعود (للأب) هيا بنا ، لنجرب .. فربما خرج من هذه القصه شيء رائع حقا .

الاب – لا تشك في ذلك ! بل الا تحسب من الخير ان نستقسم الآخرين ايضا (يشير الى باقي الاشخاص) .

المدير – طبعا ! (يهم بالخروج ، ثم يلتفت الى الممثلين) ارجوكم ، احضروا في الموعد المعين ..

(يجتاز المدير والاشخاص الستة المسرح ثم يختفون . يتبادل الممثلون النظرات باندهاش) .

صاحب الدور الاول – يبدو انه جاد في كلامه ! فما هو مقصده ؟

الفتى الاول – ان هذا هراء ..

ممثل ثالث – لعله يقصد ان يدعونا الى الارتجال ، كما في السينما ..

الفتى الاول – كما في « كوميديا الفن »

المتفنجة الكبرى – اوه ! اما انا فلن امثل مثل هذا الدور العجيب !

الفتى الاول – وانا كذلك

ممثل رابع (منوهاً بالاشخاص الستة) اود لو اعلم من اين هبطوا علينا ..

الممثل الثالث – لقد خرجوا من مستشفى للمجانين ، او انهم مختلسون ..

الفتى الاول – والرئيس الذي يستمع اليهم ..

المهندس – محض غرور .. هو يحسب انه اصبح مؤلفا دراماتيكياً .

صاحب الدور الاول – انهذا حقا لطريف .. الى اين سيقذف بالمسرح !

ممثل خامس – انني اجد هذا مدعاة للضحك .

الممثل الثالث – ايا ما كان .. سيتاح لنا ان نرى ماذا عساه يخرج من ذلك ..

(فيما يتكلم الممثلون كذلك ، يغادرون المسرح ، بعضهم من الباب الذي في الداخل ، والاخرون عائدين الى مقصورتهم . يظل الستار مرفوعا . ينقطع التمثيل خلال عشرين دقيقة) .

★

(التتمة في العدد القادم)